

الموقف المصري من الاستقلال اللبناني واعتقال الرؤساء

The Egyptian position on Lebanese independence and the arrest of presidents

الاسم: فادي نبيه قازان

طالب دكتوراة جامعة بيروت العربية – قسم التاريخ

الاستاذ المشرف: أ. د. محمد عمر

مشرف مشارك: د. راما دراز

Name: Fadi nabih kazan

PhD student at Beirut Arab University – department of History

Supervising Professor: Dr. Muhammad Omar

Co-supervisor: Dr. Rama Daraz

البريد الالكتروني: kazanfadi01@gmail.com

تاريخ قبول البحث: 2025 / 6 / 19

تاريخ استلام البحث: 2025 / 4 / 19

ملخص البحث

اكتسبت العلاقات اللبنانية المصرية أهمية تاريخية، فعملت مصر على مساعدة لبنان لصياغة الميثاق الوطني وكانت أول دولة اعترفت باستقلال لبنان، وفي الانتخابات الرئاسية دعمت بريطانيا ومصر الرئيس بشارة الخوري في حين دعمت فرنسا اميل اده، ولكن الانتخابات أسفرت عن فوز الرئيس الخوري الذي حاز على ثقة البلدين العربيين (مصر وسوريا)، مما انعكس على مواقفه في إنشاء جامعة الدول العربية وابدأ الرئيس رياض الصلح ارتياحه باعتراف مصر باستقلال لبنان ونوه بالقرار في بيانه الوزاري في 7 تشرين الأول 1943 مظهرا فائدة التعاون العربي.

بعد أن عقد المجلس النيابي اللبناني جلسة في 8 تشرين الثاني 1943 وقر النواب اقتراح مشروع تعديل الدستور لحذف منه كل ما يتصل بالانتداب، أمرت السلطات الفرنسية باعتقال رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء وثلاثة وزراء ونائب ونقلتهم إلى قلعة راشيا مما أحدث ردات فعل على الصعيد الدولي والعربي، وكان رد الفعل المصري فعالا فاحتج الملك فاروق على الاعتقال وأرسل برقية إلى السلطات الفرنسية كما وجه رئيس الوزراء المصري النحاس باشا مذكرة احتجاج عنيفة إلى الجنرال ديغول، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك ردات فعل شعبية منددة بالاعتقال وخرجت مظاهرات حماسية في شوارع القاهرة مما دفع شيخ الأزهر إلى الاحتجاج على الإجراءات الفرنسية ووقفت الصحافة المصرية إلى جانب الشعب اللبناني.

وتوالى الضغوط العربية على البريطانيين وفي 14 تشرين الثاني وصل الجنرال كاترو إلى القاهرة وتباحث مع الوزير البريطاني وفي 19 تشرين الثاني زار البطريرك الماروني وبعد أن رفضت الحكومة المؤقتة في بشامون لقائه ساد الاقتناع لديه بفتح باب المفاوضات مع الزعماء المعتقلين مباشرة وفي 22 تشرين الثاني غادر المعتقلين قلعة راشيا.

وفي نهاية الأزمة تبادلت الحكومتان المصرية واللبنانية التهاني وبعد أن أرسل الملك فاروق ورئيس الوزراء برقيات تهنئة إلى الرؤساء اللبنانيين وصلت بعثة مصرية إلى لبنان وقام لبنان بتأليف وفد للذهاب إلى مصر لتوطيد العلاقة بين البلدين، وكان يوسف سالم أول وزير مفوض في القاهرة، فكان التمثيل الدبلوماسي مظهراً من مظاهر الاستقلال وعاد لبنان وساند مصر في استقلالها عن بريطانيا، لذلك كان الاستقلال

اللبناني نتاج تفاهم بين بريطانيا ومصر، هكذا افتتح دور بريطانيا ومصر تقليدياً يقضي بإعادة انتاج الكيان اللبناني دورياً بواسطة تسوية بين قوة اقليمية وقوة دولية.

كلمات مفتاحية:

الاستقلال، العلاقات السياسية، التحالف، الانتداب، المفاوضات، الاعتقال، الاعتراف، الانتخابات، الازمة، الاجتماع، التعديل، ردة الفعل، تهنئة، الدبلوماسية، الدعوات، الجلاء، الاحتجاج، الافراج، الاعتراضات، التعاون، السيادة.

Résumé de la recherche

les relations Libano- égyptiennes ont acquis une importance historique. L'Égypte a travaillé pour aider le Liban à rédiger la charte nationale et a été le premier pays à reconnaître l'indépendance du Liban. Lors des élections présidentielles, la Grande-Bretagne Et l'Égypte ont soutenu les président Bechara El-Khoury, tandis que la France a soutenu Émile Edde. Les élections ont abouti la victoire du président El-Khoury qui a gagné la confiance de deux pays arabes (Égypte et Syrie), ce qui est reflété dans ces positions lors de la création de la Ligue des États arabes. Le président riad Al-soleh a exprimé satisfaction à l'égard de l'Égypte, reconnaissance de l'indépendance du Liban et a pris note de la décision prise. sa déclaration ministérielle du 7 octobre 1943 démontrant les bénéfiques de la coopération arabe.

Après que le Parlement libanais a tenu une section le 8 novembre 1943 et que les représentants ont approuvé un projet de proposition d'amendement de la Constitution pour en supprimer tout ce qui concernait le mandat, les autorités françaises ont ordonné l'arrestation du Président de la République, du Premier ministre, trois ministres et un député. ils ont été transférés au château de rachaya qui a provoqué des réactions aux niveaux international et arabe et il y a eu une réponse

La réaction égyptienne a été efficace, c'est pourquoi le roi farouk a protesté contre l'arrestation et a envoyé un télégramme aux autorités françaises. Le Premier ministre égyptien al-Nahhas Pacha a également envoyé un message violent. Note de protestation adressée au général de Gaulle. À cela s'ajoutent des réactions condamnant l'arrestation, des manifestations enthousiastes ont lieu dans les rues de Gaire, incitant le Cheikh al-azhar a protester contre les mesures françaises, et la presse égyptienne se tient aux côtés des Libanais personnes. la pression arabe s'est poursuivi sur les britanniques et le 14 novembre, le général Catroux est arrivé au Gaire et a discuté avec le ministre britannique. le 19 novembre, il a rendu visite au patriarche maronite et après le refus du gouvernement interimaire de Bchamoun, Il a été convaincu de le faire d'ouvrir directement la porte aux négociations. avec les dirigeants détenus,

et le 22 novembre, il est parti, détenu du château de Rachaya. À la fin de la crise, les gouvernements égyptien et libanais ont échangé leurs félicitations et après que le roi a envoyé Farouk et le Premier ministre ont envoyé des Télégrammes de félicitations aux présidents libanais. une délégation égyptienne est arrivée au Liban, et le Liban a formé une délégation pour se rendre en Égypte pour consolider les relations entre les deux pays. Youssef Salem a été le premier ministre plénipotentiaire au Gaire, donc diplomatique. La représentation était une manifestation de l'indépendance et le Liban est revenu et a soutenu l'Égypte dans son indépendance de la Grande-Bretagne. Par conséquent l'indépendance libanaise était le produit d'une entente entre la Grande-Bretagne et l'Égypte. Ainsi le rôle de la Grande-Bretagne et de l'Égypte a inauguré une tradition exigeant la reproduction périodique de l'indépendance. l'entité libanaise à travers un règlement entre une puissance régionale et une puissance internationale.

Mots clés

indépendance, relation, politique, alliance, mandat, négociation, arrestation, reconnaissance, élections, crise, réunion, amendement, réaction, félicitations, diplomatie, appel d'évacuation, protestation, libération, objections, coopération, souveraineté

1- مقدمة

تكتسب العلاقات المصرية اللبنانية أهمية بجذورها التاريخية، وتتميز سلبا او ايجابا وفقا للقضايا السياسية المطروحة على الساحة بين البلدين أو على مستوى المنطقة وتعتبر مصر الدولة العربية الاولى التي اعترفت باستقلال لبنان في عام 1943 وشكلت القاهرة مركزا للتفاوض على استقلال لبنان واستضافت اجتماعا حضره كل من الرئيس بشارة الخوري ورياض الصلح برعاية رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس باشا في الأربعينات نتج عن الاجتماع إعلان التحالف بين الخوري والصلح صياغة الميثاق الوطني الذي أسس لنظام الحكم في لبنان في مرحلة ما بعد انتهاء الانتداب الفرنسي.

ومنذ ذلك الحين أخذت العلاقات المصرية اللبنانية في التطور إلى الأفضل في مختلف المجالات، وظلت مصر داعمة للجمهورية اللبنانية في فترات عصبية في تاريخها (القاهرة "الشرق الأوسط أونلاين" مصر ولبنان.. 18 حزيران 2015، العدد 13351).

جاء في مذكرات بشارة الخوري حقائق لبنانية أن مصر قبل النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية لم تهتم قط بشؤون العرب، فكان لرئيس الحكومة المصرية النحاس باشا الفضل الأول في توجيهها نحو سياسة عربية جديدة باعطاء مصر المبادرة الاولى في هذا السبيل.

لم يقبل الرئيس ألفريد نقاش ولا سامي الصلح الإقالة، لكن السلطات المنتدبة عينت ايوب ثابت رئيسا للدولة، والثابت ان تدخل نحاس باشا في هذه الأزمة كان مثمرا، إذا اقترح على كاترو هذا الحل، فرضي به حيث يقول الدكتور بيار زيادة توجد في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت نسخة عن مذكرة النحاس باشا إلى الجنرال كاترو (زيادة، 1969، صفحة 76) (مهدي، 2023، ص 26).

وفي إحدى فقرات مذكرة الرئيس نحاس الى الجنرال كاترو، جاء ما يلي ويقيني انكم تفهمون إنني لا أستطيع الوقوف مكتوف اليدين ازاء نداء زعماء المسلمين في لبنان، كما انكم تقدرون ما تركه ذلك النداء من تأثير في مصر والبلاد العربية كافة (بيهم 1977 صفحة 64- 70) (مهدي، 2023، ص 26).

2- مشكلة البحث

تتمثل إشكالية هذا البحث في الإضاءة على العهد الاستقلالي الأول في دراسة تحليلية تركيبية، تلتزم الموضوعية بمنأى عن المواقف الجاهزة، وفي إطار دقيق في المعالجة، للوقوف على مكامن الخلل والضعف في العهد الاستقلالي الأول، ومحاولة ملامسة مدى قدرته للأمسك بدولة قامت على انقراض الانتداب، وقدرته على التحكم في علاقاته مع الدول العربية عامة ومع دولة مصر خاصة والتي تنطلق كل منهما من مصالحهما وعلاقاتهما بينهما وبين جيرانهما وفي رفضه تزعم حركة الأنقراض عليه، هو هدف هذه الدراسة التي تتطلع إلى الوصول إلى الحقائق التاريخية، كما تتطرق إلى مدى إمكانية نجاح هذا العهد في ظل الأنظمة السياسية الإقليمية المحيطة، وخصوصاً المحيط القريب.

3-الانتخابات الرئاسية

علم السياسيون أن الانتخابات آتية لا محالة فاستعدوا لها وخاصة من الطرفين الدستوري والكتلوي، لكن مركز الثقل كان في القاهرة حيث كانت تتوالى الاجتماعات، للبحث في قضية لبنان وسوريا، وكان يشترك فيها الجنرال كاترو والنحاس باشا رئيس الحكومة المصرية وممثلو بريطانيا العظمى فضلاً عن الرئيس بشارة الخوري رئيس الكتلة الدستورية وجميل مردم الذي أصبح رئيساً للحكومة السورية واتفق المجتمعون على إجراء الانتخابات في سوريا ولبنان (الصلح، 2000، ص 83-84) (مهدي، 2023، ص 26).

وجرت الانتخابات النيابية وسط تدخلات محمومة من الجنرال سبيرس وقد ساعده في مهمته تلك رئيس الوزراء المصري النحاس باشا ورئيس الوزراء العراقي نوري السعيد وتعهد الدستوريون حلفاء الانجليز بزعامة بشارة الخوري باتباع سياسة عربية موالية للانكليز (تقي الدين، المسألة الطائفية في لبنان، ص 299).
والواقع ان الفرنسيين والانكليز تبنا ذهنية الحزبيتين السياسيتين اللبنانييتين بما يخدم مصالحهما، فالجنرال سبيرز، لم يوفر جهداً من أجل انجاح المرشحين الدستوريين، ومثله المندوب السامي الفرنسي جان هللو، الذي وظّف مقدرات الدولة المنتدبة لاقتناع اللبنانيين بانتخاب مرشحي الكتلة الوطنية على الرغم من

ادعائه الحياد، في النداء الذي وجهه الى اللبنانيين عشية الانتخاب داعياً اياهم الى قول كلمتهم "بكل جرأة وحرية فكر وضمير، فلا ينظرون إلا لمصالح بلادهم العليا" ومؤكداً لهم حياده بقوله: "إنني لست لأحد ولا ضد أحد، لا لأية قائمة ولا ضد أية قائمة، لا لأي مرشح او ضد أي مرشح كان....". (تويني، ساسين، سلام، 1988، ص 171 "نداء فخامة السفير جان هيلو المندوب العام لفرنسا في الشرق الى اللبنانيين").

وكان بشارة الخوري قد كسب بفضل مواقفه من انشاء "جامعة الدول العربية" ومن سائر القضايا العربية الأخرى، ثقة البلدين العربيين الاكبر والاكثر تأثيراً في المجموعة العربية وهما: مصر وسوريا، فحقق بذلك الفوز في المرحلة الاولى، من مراحل تقدمه نحو سدة الرئاسة في لبنان، اذ ان كل ما كانت تطلبه الدول العربية من لبنان، هو التنسيق مع المجموعة العربية التي تشكل الجامعة العربية، وتأييد القضايا العربية دون ان يخشى وحدة او الحاقاً او ضمناً، او حتى اتحاداً. وقد كانت اصداء مواقف الشيخ بشارة الخوري العربية سواء في القاهرة ام في بيروت قد اخذت تتردد في مختلف ارجاء العالم العربي، "فشكّلت أساس"المساندة الحارة" التي ابداهها العرب له، وبانت عاملاً حاسماً في تحرير لبنان من روابط الانتداب. كما شكّلت، ولا شك، دعماً معنوياً فعالاً ساعد الشيخ بشارة الخوري على تبوء منصب الرئاسة في لبنان، بعد ذلك" (سويد، الجزء 11، 2001، ص 31).

4- اعتراف مصر باستقلال لبنان

وبعد الانتخابات وفتت مصر حكومة وشعباً إلى جانب لبنان في أزمته السياسية مع فرنسا، ففي 27 أيلول 1943 انعقد مجلس الوزراء المصري واتخذ قراراً يتضمن اعتراف مصر الرسمي باستقلال لبنان، وتأسيس قنصلية مصرية في بيروت (الجبوري، 2020، ص 358).

كانت مصر من اولى الدول التي اعترفت رسمياً بلبنان وذلك قبل تاريخ اعلان الاستقلال في 22 تشرين الثاني 1943، وبعد إجراء الانتخابات وفوز الخوري والصلح وصبري حمادة، وتشكلت الحكومة الاولى من ممثلي الطوائف الست كلها في 25 أيلول 1943، وفي 7 تشرين الاول 1943 ألقى رياض الصلح بيانه الوزاري وخصص لمصر واعترافها باستقلال لبنان عنواناً خاصاً... (محاضر المجلس النيابي اللبناني 7

تشرين الاول 1943) وشكر مصر وطلب من الدول العربية الأخرى السير على خطاها. ويؤكد جان هلو الاعتراف المصري هذا في برقية مؤرخة في 14 تشرين الثاني 1943 أرسلها المندوب العام الى ماسيغلي، مفوض الشؤون الخارجية في الهيئة الفرنسية في الجزائر، أوضح فيها أن احمد رمزي بك هو قنصل عام مكلف مؤقتاً بإدارة المفوضية الجديدة بانتظار تعيين وزير مفوض جديد، (ساسين، 2006، ص 365)، لذلك ابدى رياض الصلح ارتياحه الى اعتراف مصر بلبنان دولة مستقلة، وهو قرار ذو منفعة كبيرة للبنان، وعبر عن شكره للشقيقة مصر حكومة وشعباً (سيل، 2010، ص 517).

وكذلك اعترفت الحكومة المصرية باستقلال لبنان على إثر اجتماع المجلس وتشكيل الحكومة تنفيذاً لما شرطته على اللجنة الفرنسية من قبل، وعلى هذا سارت باقي الدول العربية الشقيقة (محاضر المجلس النيابي اللبناني 11 تموز سنة 1944).

وأضاف الرئيس رياض الصلح في خطابه مظهراً فائدة التعاون العربي قائلاً وأنا واثق من أن الحكومات العربية الأخرى ستحذو حذو مصر قريباً فتكون النتيجة البديهية لذلك ان يشبع لبنان من الاطمئنان الى استقلاله واحترام حدوده فيقبل مختاراً على التعاون الذي تدعوه إليه شقيقاته العربية على قدم المساواة والاحترام المتبادل لسيادة الفرقاء المتعاقدين التامة ويلبي كل دعوة الى التعاون بينها وبينه ويشاركها في جهودها واعيا تمام الوعي أن تعزيزها يعود عليه بالخير (زيادة، 1969، ص. 216 - 217) (مهدي، 2023، ص 27).

وحول اعتراف مصر بالحكم الاستقلالي اللبناني الاول كتبت جريدة النهار في 2 تشرين الأول 1943، وقد بادرت الحكومة المصرية فور تشكيل الحكومة اللبنانية في 25 أيلول 1943 الدستورية الاولى الى الاعتراف باستقلال لبنان. كما أن جلالة الملك سيوفد بعثه شرف لتبليغ فخامة رئيس الجمهورية تهاني جلالته أسوة بما جرى في سوريا. ولا يخفى أن مبادرة مصر الى الاعتراف باستقلال لبنان تضع حداً لأنواع التساؤل الذي دار على الألسنة ويظهر بوضوح أن مصر كانت تنتظر تأليف حكومة نيابية شرعية لتبادر الى الاعتراف باستقلال لبنان فالمبادرة تفتح بين مصر ولبنان أبواب العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية وتثبتها على أسس صريحة (النهار 1943 العدد 3766).

ثم تعود النهار بعد اسبوع من الاعلان عن اعتراف مصر باستقلال لبنان الى المزيد من الإيضاح حول أهمية هذا الاعتراف وظروفه، تحت عنوان اعتراف مصر باستقلال لبنان، إذ افتتح جبران تويني جريدة النهار في 8 تشرين الأول 1943 قائلاً: "من بواكير عهد الاستقلال للعهد الحالي مبادرة الحكومة المصرية الى الاعتراف باستقلال لبنان، وقد تأخرت مصر عن الاعتراف باستقلالنا، مع انه مضى على اعلانه زهاء سنتين تقريباً" (زيادة، 1969، ص 131-132) "عندئذ ذهب الظنون كل مذهب في هذا التأخير، وراحت السنة الشعبويين تخوض في السياسة وتنتحل له أذاراً وقد لا تكون خطرت للحكومة المصرية ببال، فمبادرة مصر الى الاعتراف باستقلالنا فور دخولنا في حياتنا النيابية، وضع حداً لكل الأقاويل وبرهن على أن حكومة القطر الشقيق كانت تنتظر قيام حكومة دستورية في لبنان تتمثل فيها السيادة القومية التي تستمدها من الشعب، لكي تعترف باستقلالنا المبني على أساس شرعي ينبثق من إرادة الأمة مباشرة" (النهار، 1943، العدد 2769).

ويظهر جبران تويني صاحب جريدة النهار ومديرها، عاطفة الشكر للحكومة صاحبة الرفعة مصطفى النحاس باشا مثنياً هذه الخطوة الموفقة التي خطتها نحو تمكين علاقات الولاء بين بلدين شقيقين كان على اتصال مستمر منذ أقدم أزمنة التاريخ، وتشكر لها على الأخص تعليقها الاعتراف باستقلالنا على عودة الحياة الدستورية، بعد أن حجبت القوة سنوات عديدة برهنت بذلك على تمسكها بالمبادئ الديمقراطية، ورغبتها في أن تتمتع بحسنات النظام النيابي بحرية واستقلال.

ويختم صاحب النهار بالقول فنحن نمد يدنا من قمة الارز لنصافح اليد التي امتدت إلينا من قمة الاهرام ونرجو أن تعود هذه المصافحة على البلدين وعلى العالم العربي بالخير والبركات عاشت مصر عزيزة مستقلة عاش لبنان عزيزاً مستقلاً (النهار، 1943، العدد 2769).

5- اعتقال الرؤساء

عقد مجلس النواب اللبناني جلسته في اليوم والساعة المحددين بورقة الدعوة التي وجهت الى اعضائه، اي يوم الاثنين في 8 تشرين الثاني، عند الساعة الثالثة بعد الظهر، (رباط، 2002، الجزء الثاني، ص. 748) وتغيب عنها النواب الآتية أسماؤهم: ايوب ثابت واحمد الحسيني ودركالوسيان، (حلاق، 1981،

ص111) وحضر الجلسة ممثلون عن جميع البعثات الدبلوماسية والقنصلية تقريباً: تلي مشروع التعديل على وقع جموع المتظاهرين المحتشدين في الخارج وعندما عرضت الحكومة مشروع التعديل على المجلس، طلب كل من اميل اده وجورج عقل واسعد البستاني وأمين السعد احالة المشروع الى لجنة برلمانية لدرسه، وتأجيل التصويت عليه ريثما تنتهي اللجنة من عملها، غير ان الاكثية النيابية رفضت الاقتراح، وصدّق "48" عضواً على مشروع التعديل مادة مادة، فأدرك اميل اده فشل محاولته فانسحب وتبعه أمين السعد احتجاجاً، اما من تبقى من النواب المعارضين فرفضوا التصويت. (حلاق، 1981، ص111) ما إن تم التصديق على مشروع التعديل حتى دوت القاعة بالتصفيق، وتعالق الهتافات تأييداً لهذه الخطوة الاستقلالية الجريئة. "وهكذا صدر القانون الدستوري الذي وُقِع في اليوم التالي، 9 تشرين الثاني 1943، وهو يحتل المرتبة الرابعة من سلسلة القوانين الدستورية التي تعاقبت على تعديل الدستور. لكنه بالتأكيد اهم هذه القوانين، نظراً لأنه طبع الدستور بطابع الاستقلال بعد أن حذف منه كل ما يتصل بالانتداب" (رباط، 2002، الجزء الثاني، ص. 748).

وكان هيللو قد عاد من رحلة استشارية طارئة الى الجزائر، فاصطدم بالتعديلات الدستورية داخلة في حيز التنفيذ، فما كان منه إلا ان امر بإرسال فرق من البحارة الفرنسيين والجنود السنغاليين، في الصباح الباكر من 11 تشرين الثاني،⁽¹⁾ (لونغرغ، 1978، ص 411)، لاعتقال رئيس الجمهورية اللبنانية، ورئيس الوزارة، واربعة من اركان العهد وهم الوزراء كميل شمعون، وعادل عسيران، وسليم تقلا ونائب طرابلس عبد الحميد كرامي، ونقلهم الى قلعة راشيا وفي الوقت نفسه، أصدر هيللو جملة قرارات تقضي بتعليق العمل بالدستور، وحلّ مجلس النواب، وتعيين إميل إده رئيساً للدولة (الصليبي، 1978، ص 237).

كان ما حدث ليل 10 - 11 تشرين الثاني يتجاوز الخيال اللبناني، وهو غريب عن تاريخنا المعاصر، يذكرنا بأيام جمال باشا العثمانية (تويني، ساسين، سلام، 1988، ص 42). وقد سجل الشيخ بشارة الخوري ذكرياته عن مجريات تلك الليلة، فجاء فيها: "حوالي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل (ليل 10 / 11 تشرين

(1) تم الاعتقال في الرابعة من صباح 11 تشرين بواسطة جنود البحرية الفرنسيين او في بعض الحالات، جنود من ابناء المستعمرات (بما فيهم السنغاليين)

ثاني (1943) استيقظت وقرينتي في آن واحد على ضجة قوية في الدار الداخلية امام غرفة المنامة ... قمت وفتحت الباب لأرى ماذا يجري فوقعت عيناى على جنود بحريين فرنسيين مسلحين بالبنادق وبرؤوسها الحراب، وبعض جنود سود ... وصاحوا بي قائلين: اخرج! اخرج عاجلاً! ... وإذا الباب الجنبى من الغرفة يُفتح علينا ويدخل ولدى ميشال ومعه ضابط برتبة كابتان لا اعرفه، يحمل مسدساً ورشاشاً صغيراً، وقال بتهذيب وخشونة: لا نقصد بكم شراً غير اننى حامل امرأ من المندوب السامى بتوقيفك ... فطلبت قرينتي الي ان ارتدى ثيابى، واخذ ولدى ميشال يأتينى بها من الغرفة المجاورة... وودعت قرينتي وولدى، وألقيت نظرة على غرفة ابنتى هوغيت وكنت أجهل ان سريرها محاط بالجنود السود وهم شاهرو السلاح، وانهم أيقظوها من نومها الهانىء ومزقوا "تاموسيتها" بحرابهم ... (الخوري، 1983، الجزء الثانى، ص 33-34).

خيماً الذهول والنقمة على البلاد، ولم يقتنع معظم اللبنانيين على مختلف طوائفهم بالحيثيات التي دفعت جان هيللو، ممثل الدولة المنتدبة، إلى إهانة الحكام اللبنانيين بإعتماد القوة لإعتقالهم، وأحدث ذلك جرحاً بليغاً ولد إجماعاً وطنياً، لذا حقق يوم 11 تشرين الثاني إجماعاً عجزت عن تحقيقه خمسة وعشرون عاماً من الاحتلال والانتداب. فاذا نظرنا الى الامر من زاوية التاريخ الوقائعي والنفعية الوطنية، لكان لنا ان نقول ان الفضل في ذلك يعود بالتأكيد الى المندوب الفرنسي جان هيللو (رباط، 2002، الجزء الثانى، ص. 752).

6- رد الفعل الدولي على اعتقال الرؤساء

وعلى الصعيد الدولي، كانت بريطانيا في طليعة الدول التي مارست تأثيراً على فرنسا نظراً لتواجدها العسكري على الارض اللبنانية، وكشف منير تقي الدين احد الذين انضموا الى حكومة بشامون بأن الحكومة كانت على اتصال دائم مع الجنرال سبيرز في بيروت، وقد أخذ التدخل البريطاني لدى الفرنسيين الاحرار اشكالاً متناسب وتطور الاحداث: "يوم اعتقال السياسيين اللبنانيين، ارسل سبيرز مذكرة احتجاج الى هيللو يستتكر فيها الاجراءات الفرنسية بحق رئيس الجمهورية وأعضاء حكومته، واحتلت الاحداث اللبنانية حيزاً مهماً من اهتمامات الصحافة البريطانية فكتبت الديلي هرالذ "لقد ارتكبت لجنة التحرر الفرنسية اكبر خيانة

ضد الحلفاء، فعملت في البلاد العربية في نصف ساعة ما لم تعمله الدعايات الالمانية بخمس سنوات" (شعيب، 1994، ص 218).

وعلى الرغم من ان الحكومة الاميركية لم تكن معنية بشؤون سوريا ولبنان بقدر ما كانته بريطانيا، فانها حذت حذو الحكومة البريطانية، مؤكدة ان هذا الوضع المضطرب في المشرق مضرٌ بجهود الحلفاء الحربية، لأن دعاية العدو قد تستغل هذا الوضع عندئذ وتعتبره منافياً لما ينادي به الحلفاء حول حرية الشعوب واستقلالها (رباط، 2002، الجزء الثاني، ص 754-755).

وغداة اجراءات التوقيف، أعلنت الحكومة الاميركية موقفاً لا يختلف عن موقف الحكومة البريطانية، وأرسلت الى اللجنة الفرنسية في الجزائر مذكرة احتجاج شديدة اللهجة قال عنها أحد العاملين في السلك الدبلوماسي أنه منذ خمس وعشرين سنة، لا يتذكر ان حكومة الولايات المتحدة أصدرت مذكرة في مثل شدتها (تقي الدين، 1997، ص 161).

لا يخفى ان دور بريطانيا في تدويل هذه الأزمة، فلقد وقفت الى جانب الرئيس بشارة الخوري منذ البداية، فدعمت قضيته وتبنتها، وبادلها بشارة الخوري تعاوناً بتعاون، حتى انه طلب من المسؤولين اللبنانيين التعاون مع الانكليز. ويؤكد فريد شهاب، مدير عام الامن العام الاسبق، ان الشيخ بشارة الخوري طلب منه التعاون مع الانجليز بواسطة مارون عرب المستشار في السفارة البريطانية.

وتلقى رينيه ماسيغلي، وزير الخارجية في اللجنة الوطنية لفرنسا الحرة، مذكرة من روجير ماكنتر الوزير البريطاني جاء فيها "ان حكومة صاحبة الجلالة لا يمكنها بوجه من الوجوه ان توافق على خطورة الحالة في الشرق، ولا ان تهضم وقوع اضطرابات جديدة اثناء الحرب" (حلاق، 1985، ص 120).

ومن أجل ذلك، وبعد مزيد من الاتصالات بين مختلف القنصليات والسفارات والمراكز البريطانية والحكومة البريطانية بشأن الازمة اللبنانية، تقرر ان يعود المعتمد البريطاني كيزي، عضو الوزارة البريطانية المفصول الى الشرق الاوسط، من القاهرة الى بيروت، فوصلها فعلاً في 19 تشرين الثاني واجتمع بالجنرال كاترو وسلمه بحضور الوزير المفوض سبيرز انذاراً من بريطانيا والحلفاء يدعو الى انتهاء الازمة، وإلا فإن الجيش البريطاني سيكون مضطراً الى التدخل العسكري لتوطيد الامن واعادة الاوضاع اللبنانية الى طبيعتها،

كما يدعو الى إخلاء سبيل رئيس الجمهورية والوزراء قبل الساعة العاشرة من صباح الاثنين 22 تشرين الثاني، وإلا يتولى الجيش البريطاني بنفسه تنفيذ هذه المهمة (حلاق، 1985، ص 120 - 121).

اما الاتحاد السوفياتي فقد أبدى تأييده للبنانيين، وأرسلت حكومته مذكرة لكل من المسؤولين الاميركيين والبريطانيين اعلنت فيها تأييدها لوجهة نظرهما حيال قضية لبنان، وأنها تقف الى جانب الشعب اللبناني لنيل استقلاله الحقيقي، كما طالبت المذكرة بإطلاق سراح المعتقلين (حلاق، 1985، ص 120 - 121).

7-رد الفعل المصري على اعتقال الرؤساء

بعد هذه الأحداث الخطيرة التي عصفت بلبنان، تضامنت الأقطار العربية مع الشعب اللبناني في هذه الأزمة بوجه السلطات الفرنسية فكانت ردود الأفعال العربية جماعية ورائعة ومنها موقف مصر المشرف على مختلف المستويات، تضامن المصريون حكومة وشعباً مع اللبنانيين وزعمائهم المعتقلين خلال تلك الأزمة، ففي الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ قابل الملك فاروق ملك مصر السفير البريطاني في مصر ودار بينهما حديثاً عن أزمة لبنان، فابلغته برغبات الشعب المصري وأمانهم في خروج لبنان من تلك المحنة ظافراً بأمانيه الوطنية وبمساعدة ومساندة الدول الحليفة وفي مقدمتها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، كما أرسل في اليوم نفسه برقية احتجاج إلى الحكومة الأمريكية استنكر فيها الإجراءات التي قامت بها السلطات الفرنسية في لبنان قائلاً "بما انه حاكم مصر والتي كانت بحال من الحرية والقوة والبحث عن الاستقلال وانه مصدوم من معاملة لبنان بهذه الطريقة، وان أثار ذلك سوف تكون كارثية بحق الأمم المتحدة إذا ما سمح لمثل هذه الأشياء بالحدوث، وإنها تضر بمصلحة الحلفاء وتقيد الألمان، وان مثل هذه الأحداث هي محزنة بالنسبة لسياسة التحالف في الشرق الأوسط (الحميداوي، ماجستر، ٢٠١٠، ص 125) (F.O.R.S., 1943, ص1020).

وأرسل الملك فاروق برقية إلى السلطات الفرنسية احتج فيها على اعتقال رئيس الجمهورية اللبنانية، كما بعث رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس في 11 تشرين الثاني رسالة إلى لجنة التحرير الوطني الفرنسية في الجزائر، أكد فيها أن اعتقال رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة اللبنانية يشكل اعتداء على

استقلال لبنان وحرية وسيكون له رد فعل عنيف على الشعب المصري الذي أعلن تأييده الكامل للبنان، وطلب من السلطات الفرنسية الإسراع بحل الأزمة حلاً حاسماً.

وتلقى الوزير الأمريكي المفوض في القاهرة جورج كيرك برقية من رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس تضمنت احتجاج الحكومة المصرية على السياسة التعسفية الاستبدادية (التي قامت بها لجنة التحرير الوطني الفرنسية ضد رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة اللبنانية، وأكد خلالها ان هذا العمل ينافي مبادئ الحرية والديمقراطية، وطالب من الولايات المتحدة الامريكية بالتدخل العاجل لإنهاء الازمة وإعادة الحياة الدستورية والمعتقلين اللبنانيين إلى مناصبهم) (الموقف العربي والدولي من أزمة العلاقات اللبنانية الفرنسية 11 - 22 تشرين الاول 1943، أ.م.د. جاسم محمد خضري الجبوري، آداب الرفادين 2020م، ص 358).

كما وجه في 11 تشرين الثاني 1943 رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس مذكرة احتجاج عنيفة إلى الجنرال ديغول جاء فيها "باسم الحكومة والشعب المصري نحتج احتجاجاً شديداً على الإجراءات القاسية التي اتخذتها السلطات الفرنسية... فمصر وجميع الشعوب العربية تعلن تضامنها مع الشعب اللبناني المجيد السيء الحظ الذي لم يقترف جرماً سوى أنه أراد توطيد استقلاله والاطمئنان الى صداقة فرنسا الخالصة التي لا تقوم على مصالح مذكرا بالتاريخ الفرنسي بقوله من مثل فرنسا تعلمنا جهادها باعتبارها معقل الحرية وملاذها ولا يمكن أن يقابل نقض أية دولة للنص المقدس التي أقسمت الأمم المتحدة على احترامه بغير استنكار مشدداً إذ لم تعد الحالة في لبنان الى وضعها المنطقي ستجد مصر نفسها واقفة واجهاً لوجه أمام فرنسا وهي حالة ترغمه عليها الحوادث (مزهري، د.ت.، 1158) او (مهدي، دكتوراة، 2023، ص 35).

في حين بعث برسالة ثانية الى الوزير البريطاني في مصر كرر فيه احتجاجه وأعرب عن اعتقاده بأن الحكومة البريطانية ستبادر وتأخذ على عاتقها حل تلك الازمة (العراق، 1943/11/13 العدد 6451) كما قام بإرسال مذكرة إلى وزير الولايات المتحدة المفوض في القاهرة أشار فيها الى انه يعتقد ان انتهاك حرمة استقلال لبنان من قبل السلطات الفرنسية سيثير الأسف والحزن في الولايات المتحدة (الحמידاوي، ماجستر، 2010، ص 127).

وفي الثالث عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣، بعث الملك فاروق رسالة إلى رئيس الجمهورية اللبنانية المعتقل بشارة الخوري تسلمتها الحكومة المؤقتة في بشامون، وقد أبدى إعجابه وتقديره لموقفه المشرف، معبراً له عن موقف مصر المساند له وللشعب اللبناني، (مزهر، د.ت.، 1157)، ومما قال فيها "إن تلك الثقة التي أولها الشعب اللبناني الكريم دليلاً لشخصكم بانتخابكم رئيساً للجمهورية قد قامت على جدارتكم بما نلتموه وأظهرت ما نعلمه عنكم من مزايا وسجايا ومن وطنية صادقة لا يلين لها عود، ولا شك في إن شعب لبنان سيتمتع باستقلاله، وأنه بالغ في ظل الكرامة والحرية والشرف ما هو جدير به من سيادة ومجد ولست في حاجة إلى أن أوكد لفخامتكم إن الشعب اللبناني يستطيع أن يعتمد على صداقتنا وصداقة حكومتنا وشعبنا في ساعات الشدة والحرّج التي تمر به" (علامة استفهام العدد 4، 1943/11/14).

كما استدعى الملك فاروق سفير الولايات المتحدة وبريطانيا في القاهرة وطالب حكومتيهما بالوقوف موقف الحزم من فرنسا بما يتماشى مع مبادئ الحرية والاستقلال وميثاق الأطلسي (مهدي، دكتوراة، 2023، ص 35).

وقد رد الجانب الأمريكي على تلك المذكرة عندما قابل وزيرها المفوض جورج كيرك رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس الذي سلم له رد حكومته التي أظهرت فيها تأييدها الكامل لموقف مصر، كما أعربت عن إيمانها بأن القوى العظمى التي تحارب في سبيل المبادئ النبيلة سوف تعمل على التأكيد على احترام شخصيات الأطلسي والتي تريد لجنة التحرير الوطنية الفرنسية حزمهم وهو دليل على مس استقلال لبنان وسيعطي ذلك صدى سيئاً في الولايات المتحدة الأمريكية (مهدي، دكتوراة، 2023، ص 36).

كما أرسلت الحكومة المصرية مذكرة إلى المندوب السامي الفرنسي جان هيللو عبرت فيها عن احتجاجها واستنكارها للسياسة الفرنسية المتبعة في لبنان، والمنافية للعهود والمواثيق الدولية، وأكدت تضامنها مع الحكومة اللبنانية.

وأقام حزب الوفد المصري مهرجانه السنوي تحت شعار يوم النضال في سبيل لبنان، القى فيه رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس خطاباً حماسياً أعرب من خلاله رفضه للإجراءات الفرنسية المتبعة في لبنان وتأييد الحكومة المصرية للبنان، وطالب بالافراج عن أعضاء الحكومة اللبنانية المعتقلين لدى السلطات

الفرنسية، كما ان الشعب المصري بجميع فئاته، لا سيما الفئات المثقفة من طلاب جامعيين وثانويين، قد قاموا بتنظيم مظاهرات صاخبة تأييداً للبنان وتجاوباً مع اخوانهم الطلاب اللبنانيين، (قدورة، 1985، ص 291) ومناهضة للسلطات الفرنسية، وهاجم المتظاهرون بناية المفوضية الفرنسية ورشقوها بالحجارة، ونادى المتظاهرون بسقوط فرنسا الغاشمة (الجبوري، 2020م، ص 359).

ويوم 13 تشرين الثاني وهو عيد الجهاد الوطني في مصر، ألقى مصطفى النحاس رئيس الوزراء المصري خطبة ندد فيها بالفرنسيين، وحيا فيها الحركة اللبنانية الاستقلالية، وطالب الدول العربية بدعم القضية اللبنانية، كما قدم مذكرة للجنرال ديغول قال فيها: "فإذا لم تعد الحالة في لبنان الى وضعها المنطقي، فإن مصر تعيد النظر في موقفها من فرنسا على ضوء الحوادث الجارية" (حنا، 1944، ص 203)، (حلاق، 1981، ص 118-119).

وفي الخامس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣، التقى مصطفى النحاس الجالية اللبنانية في القاهرة، ووعدهم بأنه لا يقبل أن يستبجح الأجنبي الشعب اللبناني وحرماته، ومن ثم صرح قائلاً "بأن الفرنسيين يعملون في مصر بحجة الدفاع عن الحريات، وإن مصر لا يمكن أن تأويهم بعد الآن، إذا ظلوا سائرين في غيهم، وثقوا إنني عامل للبنان ما أعمل لمصر"، (العراق، 1943/11/16، العدد 6454)، ثم توجهوا جميعاً إلى قبر سعد زغلول ووضعوا عليه إكليل من الزهور ولافتة كتب عليها من لبنان الجريح إلى سعد الخالد (العراق، 1943/11/16، العدد 6454) (مهدي، دكتوراة، 2023، ص 36).

وفي تطور آخر عقد حزب الوفد المصري مهرجانه السنوي تحت شعار "يوم النضال في سبيل لبنان"، وألقى مصطفى النحاس خطاباً مطولاً دعا فيه إلى الإفراج عن أعضاء الحكومة اللبنانية المعتقلين (زيادة 1969، ص 106).

كما حث النحاس الدول العربية من اجل التضامن والوحدة في الموقف ضد السلطات الفرنسية، فضلاً عن ذلك طالب الحكومات العربية إلى تقديم كافة الدعم للشعب اللبناني، موضحاً لها الاحتجاج الفوري الذي قدمته حكومته للجنة الوطنية الفرنسية في الجزائر، وكذلك مناشدتها للحكومتين البريطانية والأمريكية باعتبارهما الدولتان اللتان كفلتا استقلال لبنان، ومن ثم طلب من الحكومة العراقية مساندة مصر والوقوف

معها والعمل سوية لنصرة القضية اللبنانية والوقوف إلى جانب الشعب اللبناني (الحميداوي، ماجستر، 2010، ص 128).

لم يتعاط النحاس مع الاحداث في لبنان باسم الشعب المصري فحسب، بل اضطلع بدور الناطق باسم العرب جميعاً. حاول حث جميع الحكومات العربية على مواجهة الفرنسيين الأحرار مواجهة جماعية وشرح موقف حكومته من لبنان بعبارات يستخدمها القوميون العرب: "الروابط المتينة للغة الواحدة.. والطابع والتقاليد والقيم والعادات والآلام والآمال" (الصلح، 2006، ص 254).

وفي السابع عشر من تشرين الثاني 1943 تلقت الحكومة المصرية الرد من اللجنة الوطنية الفرنسية في الجزائر على مذكرتها الاحتجاجية بما يلي: "يجب مراعاة مصلحة لبنان ومصلحة فرنسا كما يفهمها اصدقائهما الحقيقيون وترك هذان البلدان وحدهما لحل مسألة عملت فرنسا على حلها بروح الصداقة التي تهيمن منذ قرون على علاقتنا مع الشعب اللبناني، فرد مصطفى النحاس على تلك المذكرة برسالة مطولة بقوله يدهشني التميز التي تميزون به بين الاصدقاء الحقيقيين للبنان وغيرهم ان مصر وسائر الشعوب العربية لتفتخر بانها اعربت على استنكارها في ساعة ذات مغزى في تاريخ لبنان والمشرق العربي بأسره ويكفي أن العالم برمته أنحى باللائمة على عمل ممثلكم لتبين من هم أصدقاء لبنان الخالص وأصدقاء فرنسا الخالص، ومن هم الذين ضحوا عمداً بالحق والعدل في هذه الظروف العصيبة وما كان رائدهم إلا النابذة الكاذبة (مهدي، دكتوراة، 2023، ص 36).

كما أشار الملك فاروق في 18 تشرين الثاني 1943 في خطاب العرش الذي ألقاه بمناسبة افتتاح البرلمان المصري إلى أحداث لبنان فأعرب عن عظيم اسفه للحوادث المؤلمة التي جرت في لبنان التي رفعت من أجلها الحكومة المصرية احتجاجات شديدة اللهجة، وأن حكومته ستبذل ما في وسعها في سبيل إعادة الحالة الى مجراها الاعتيادي وارجاع الحق الى نصابه (مهدي، 2023، ص 37).

8-رد الفعل الشعبي على اعتقال الرؤساء

أما على المستوى الشعبي فقد خرجت المظاهرات الحماسية في شوارع القاهرة وأخذت تطالب بسقوط فرنسا والمناداة بحرية لبنان وقد تزامن ذلك مع وصول الوفد الفرنسي إلى القاهرة برئاسة الجنرال كاترو والذي تمت حمايته من غضب الجماهير بصعوبة كبيرة الأمر الذي جعل رئيس الوزراء يأمر بنزول قوات مكافحة الشغب لحمايته، كما قامت مجموعة من الشباب المصري بالهجوم على مقر إقامة الوفد الفرنسي في أحد فنادق القاهرة وتم تحطيم النوافذ وتدمير الكثير من ممتلكات الفرنسيين في القاهرة تأييدا لقضية الشعب اللبناني ناهيك عن رشق المفوضية الفرنسية بالحجارة بعدما وصفوها بالغشامة كما حصلت مظاهرات مشابهة في مدينة الإسكندرية، فكان موقف الطلاب في الجامعات والمعاهد والثانويات في مصر رائعا ومميزا ومتجاوب مع موقف نظرائهم طلاب لبنان (حلاق، 1981، ص 119).

وقد احتج شيخ الأزهر على الإجراءات التي اتخذتها السلطات الفرنسية في لبنان بقوله "إن شيخ الأزهر يحتج باسم جماعة كبار العلماء وشيوخ الكليات والمعاهد وأساتذتها على ما وقع من الاعتداء على الشعب اللبناني ويهيب بالمسؤولين عن هذا الاعتداء أن يراجعوا أنفسهم ويحترموا عهودهم فلا يمسوا حقوق اللبنانيين في الحرية والاستقلال..." (الحميداوي، 2010، ماجستر، ص 129).

أما موقف الصحافة فقد وقفت الصحف المصرية الى جانب الشعب اللبناني وقامت بمتابعة التطورات على الساحة السياسية اللبنانية منذ لحظاتها الاولى، كما وقفت مصر موقفاً مشرفاً دل على زعامتها لأقطار المشرق العربي زعامة صحيحة تستند الى عاطفة سياسية وروح قومية وعزم أكيد على التوصل بمقدرتها ونفوذها إلى خدمة الشعوب العربية في جميع أوطانها توثيقاً للعرى التي تربط هذه الشعوب ببعضها البعض (الطاهري 2006 صفحہ 123) (مهدي، دكتوراة، 2023، ص 37).

تتالت الضغوط من قادة مصر والعربية السعودية والعراق على رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل ليتدخل لدى الجنرال ديغول، فما لبث هذا الأخير ان اوفد الجنرال كاترو لمعالجة الازمة (طرابلسي، 2008، ص179).

اظهرت مصر عاطفة جياشة ملكاً وحكومة وشعباً، فالملك فاروق أبرق الى الرئيس وهو في راشيا برقية طافحة بالتأييد والقي النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية يوم ذكرى الجهاد خطاباً نارياً لمساندة لبنان، أوفد الملك بعثة برئاسة عمر فتحي كبير الياوران ليهنئهم بعودتهم سالمين وبنيل الأمانى الوطنية (الخوري، 1983، الجزء الثاني، ص 71-72).

9- الافراج عن المعتقلين

في 14 تشرين الثاني، وصل الجنرال كاترو الى القاهرة، وتباحث في اليوم التالي مع الوزير كيسي، فاستعجله الوزير المذكور معالجة الوضع المتأجج الذي يزداد تفاقماً في بيروت، وفي السادس عشر من الشهر عينه، باشر الجنرال كاترو اتصالاته الاولى في بيروت بادئاً بالاستماع الى آراء الجهات التي أقدمت على إصدار أوامر 11 تشرين الثاني، فتبين له ان نزعة العداء لبريطانيا كانت تستحوز على اذهانهم، وان هذا الهوس الذي أعمى بصائرهم قد حجب عنهم رؤية واقع الامور ومقتضياتها، لذلك قرر العمل على حل الازمة بالتفاهم مع معتقلي راشيا، فقام بأول لقاء له في القلعة بالذات، في اليوم الثاني، مع رئيس الجمهورية ومع رياض الصلح، فأزال هذا اللقاء عن عينيه ما تبقى من غشاوة. (رباط، 2002، الجزء الثاني، ص 756 او الخوري، 1983، الجزء الثاني، ص 40-47)

أما لقاء الجنرال كاترو بالبطيريك الماروني فقد تأخر حتى يوم الجمعة في 19 من تشرين الثاني، وكان في بكركي التي وصلها الجنرال فاستقبلته مجموعة من الشباب كانت قد احتشدت عند باب الصرح البطيريكى، وفي داخله، وحملته على الأكتاف الى الداخل متحدية مشاعر البلاد التي كانت تسودها نقمة عارمة على الفرنسيين. وقد عمل البطيريك في كلمته على معالجة الموقف متداركاً ردّات الفعل، فخاطب الجنرال قائلاً: "لا تظن ان الذين استقبلوك هنا بهذه المظاهر، وحملوك يعبرون عن عاطفة صادقة ورأي مجرد، ان معظمهم من موظفي الامن العام، ومن لم يكن منهم، فهو رجل قد استأجروه وجروه الى هذه الدار ليخدعوك، وليوهموك ان في البلاد من هو راض عن الحال. فلا تخدعك هذه المظاهر المريرة، وثق

انه ليس في لبنان واحد يرضى، او يمكن ان يرضى عن العمل الذي ارتكبه رجل مندوبيتكم هنا" (تقي الدين، 1997، ص184-185).

وكانت الخيبة الأكبر التي مني بها الجنرال كاترو هي رفض اركان "حكومة بشامون" الانتقال الى بيروت لمقابلته، وكان "المسيو بار" أحد كبار موظفي المفوضية الذي عرف بصداقاته اللبنانية، قد توجه في 18 تشرين الثاني، موفداً من كاترو، الى بشامون حيث عرض الامر على الرئيس ابي شهلا، وحيال رفضه، عرض عليه اجتماعاً مع الجنرال في عاليه، فكان الجواب الحاسم ان: "في وسع الجنرال القدوم الى بشامون إذا كان لديه ما يقوله للحكومة الوطنية، وفي مطلق الاحوال، لا مفاوضة قبل إطلاق سراح معتقلي راشيا وعودة الامور الى نصابها، وطرد الموظفين الفرنسيين المسؤولين عن أزمة الدم اللبناني" (تويني، ساسين، سلام، 1988، ص120).

وهكذا ساد الاقتناع لدى الجنرال كاترو بضرورة فتح باب المفاوضات المباشرة مع الزعماء المعتقلين في راشيا بعدما لمس شبه اجماع لبناني على الاعتراف بقيادتهم، وفي 18 تشرين الثاني عرض كاترو في اول لقاء مع بشارة الخوري حلاً للأزمة يركز على نقطتين:

1 - استقالة حكومة رياض الصلح حفظاً لكرامة فرنسا.

2- حل المجلس النيابي واجراء انتخابات جديدة.

ولكن رد بشارة الخوري جاء تأكيداً على الاجماع الوطني الذي تجلى لأول مرة في تاريخ الكيان اللبناني (شعيب، 1994، ص223، والخوري، 1983، الجزء الثاني، ص. 45).

بذل الجنرال كاترو قصارى جهده محاولاً الفصل بين الرئيسين بشارة الخوري ورياض الصلح وبين موقعيهما، أو إيجاد ثغرة يستغلها لنيل موافقتهما على "الحل الديغولي" اي رجوع الشيخ بدون حكومته، ولكن الأمور سارت بعكس ارادة الفرنسيين، ففي الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر 19 تشرين ثاني، تسلم الجنرال كاترو مذكرة بريطانية، شرح له مضمونها الوزير كايزي في اجتماع عقد بينهما الساعة الخامسة والنصف من اليوم ذاته في منزل الجنرال سبيرس (تويني، ساسين، سلام، 1988، ص122).

والواقع ان الساحة اللبنانية شهدت نهوضاً سياسياً مهماً ابان معركة الاستقلال، فتشكلت جبهة عريضة من القوى الوطنية والديمقراطية وبعض التجمعات الدينية والرياضية على قاعدة دعم الاستقلال وحمايته. وعرفت هذه الجبهة باسم "المؤتمر الوطني" الذي أصدر بيانات متعددة ابان معركة الاستقلال، كان أبرزها بيان "12" تشرين الثاني 1943 الذي جاء فيه: "إن المؤتمر الوطني اللبناني يستنكر الاجراءات الاستبدادية الصادرة عن مندوبية لجنة فرنسا ويعتبر ان السلطات الشرعية الدستورية الممثلة برئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء والوزراء والمجلس النيابي هي وحدها دون سواها صاحبة الحق للتكلم والمفاوضة باسم لبنان" (ضاهر، 1984، ص 173).

وهكذا امتزجت اوراق الطائفية والوطنية بالديمقراطية وغيرها، لتشكل سداً منيعاً بوجه محاولة الفرنسيين الرامية الى تجديد الصراع الطائفي على الارض اللبنانية، فقد سجل الاستقلال عام 1943 انتصار وحدة الطوائف اللبنانية المستقلة على التجزئة الطائفية التي حكمت لبنان طيلة قرن من الزمن قبل هذا التاريخ تحت وصاية استعمارية مباشرة. وبعد ثلث قرن من الاستقلال السياسي على قاعدة ميثاق دولة الطوائف المستقلة نرى لزاماً علينا اليوم ان نناضل من اجل انتصار الوحدة الوطنية الحقيقية" (ضاهر، 1984، ص 192).

وكانت مشكلة هذه الصلاية الفرنسية أنها لم تكن واقفة على صلابة الموقف اللبناني، فلم تحدث اي تغيير في مسار الأحداث، خصوصاً أنها جاءت متأخرة، ففي 22 تشرين الثاني، غادر رئيس الجمهورية اللبنانية واعضاء حكومته قلعة راشيا يرافقه مقاومو بشامون، وتواكبهم الجموع حتى بيروت، حيث حيوا الجماهير من على شرفة السرايا الصغيرة في ساحة الشهداء، "وكان النصر ملحقاً، فاستعادت المؤسسات سيرها الطبيعي، وتوطدت الحياة الدستورية منذ ذلك الحين، وحلت ذكرى 22 تشرين الثاني محل ذكرى العيد الوطني في أول أيلول، فعهد الاستقلال انما بدأ منذ ذلك اليوم" (رباط، الجزء الثاني، ص 758).

10- توطيد العلاقات والتمثيل الدبلوماسي بين مصر ولبنان

وفي نهاية تلك الأزمة تبادلت الحكومتان المصرية واللبنانية التهاني فقد قام الملك فاروق بإرسال برقية تهنئة الى رئيس الجمهورية اللبنانية بمناسبة عودته الى منصبه قائلاً فيها سمعت مع السرور نبأ الإفراج عنكم واهنئكم بتقليدكم مهام منصبكم مرة أخرى واهنئ لبنان في دفاعها عن كرامتها وكفاحها في سبيل الحرية (الطاهري 2006، ص 132).

وبعد الإفراج عن رئيس الجمهورية اللبنانية وأعضاء الحكومة اللبنانية، أرسل الملك فاروق وفداً رسمياً إلى لبنان لتهنئة الرئيس اللبناني بشارة الخوري وأعضاء حكومته بمناسبة إطلاق سراحهم وعودتهم إلى مناصبهم وعودة الحياة الدستورية إلى لبنان (الجبوري، 2020م، ص 360).

كما قام رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس بإرسال برقيتي تهنئة الأولى لرياض الصلح، والثانية إلى رئيس المجلس النيابي صبري حمادة بمناسبة عودتهما إلى مناصبيهما ومن جانبه بعث رئيس جمهورية لبنان رسالة إلى الملك فاروق عبر له فيها عن شكر الشعب اللبناني وتقديره العظيم للمساعدة التي أبدتها الحكومة والشعب المصري في الدفاع عن لبنان، كما شكره على رسالة التهنئة التي بعثها له. كما قامت الحكومة اللبنانية بتوجيه الشكر إلى رئيس الوزراء المصري على موقفه أثناء الأزمة اللبنانية وقد تضمنت أيضاً دعوته رسمياً إلى زيارة لبنان (الحميداوي، ماجستر 2010، ص 130-131).

وصلت البعثة المصرية إلى بيروت في أواسط كانون الأول فجرى لها استقبال رسمي وشعبي كلاهما بالغ في الحفاوة وأقيمت على شرفها حفلات كثيرة منها دعوة من رئاسة الجمهورية للغداء وأعرّب الرئيس عن شكره لموقف مصر مليكها وحكومتها وشعبها في أيام راشيا، (الخوري، 1983، الجزء الثاني، ص 71-72) ومن ثم قام رئيس البعثة بتسليم رسالة الملك فاروق الى الرئيس بشارة الخوري (مهدي، دكتوراة، 2023، ص 38).

كما أجمعت الصحافة المصرية على الترحيب بإعادة أعضاء الحكومة اللبنانية المعتقلين الى مناصبهم وقد طالبت تلك الصحف بحذف كلمة الانتداب من المفاوضات بين رئيس الجمهورية اللبنانية والسلطات الفرنسية وأشارت جريدة الوفد المصري بعد انتهاء الأزمة على أن الحل يجب ان يكون كاملاً وان يحقق

اماني لبنان تحقيقاً تاماً، وأن يبرهن على احترام الحلفاء لاستقلال الشعوب الصغيرة (الطاهري، 2006، ص 127).

وبعد أن سافرت البعثة المصرية، أُلّف لبنان وفداً من رياض الصلح رئيس الوزراء وسليم نقلا وزير الخارجية وموسى مبارك مدير غرفة الرئاسة لرد الزيارة (الخوري، 1983، الجزء الثاني، ص 71-72)، وكانت هذه الزيارة الرسمية الأولى التي قامت بها بعثة لبنانية رفيعة المستوى بعيد الاستقلال الى الخارج، بين 4 و14 كانون الثاني 1944، بناء على دعوة من الملك فاروق ومن رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس باشا، جرى لهم في مصر استقبال منقطع النظير وتوالت الدعوات لتكريمهم، وفي القاهرة تواترت الدعوات وحفلات الاستقبال بشكل مكثف على شرف الوفد اللبناني (ساسين، 2006، ص 372) وشاركت هذه البعثة في مشاورات الوحدة وقدم الصلح اثناء مباحثاته مع النحاس بياناً مكتوباً تضمن ثلاثة امور وراء رغبة لبنان في التعاون العربي وهي ضعف المؤثرات الاجنبية التي كانت تسيطر عليه في عهد الانتداب الفرنسي، وتفهم الدول العربية لموقف لبنان المتحفظ من الوحدة العربية واعترافها بكيانه المستقل بحدوده الحالية، وتفهم لبنان لضرورات التعاون مع الاقطار العربية المجاورة، (بدران، دكتوراة، 2000، ص 77) (شحاذة، سليمان عبدالله، دور نواب محافظة جبل لبنان، ص 154) ولم تبدأ المحادثات المصرية اللبنانية فعلياً في مقر وزارة الخارجية الا في 9 كانون الثاني والتي اسفرت عن توقيع بروتوكول الاسكندرية (ساسين، 2006، ص 372).

ومما قاله الرئيس رياض الصلح عن هذه الزيارة: "اشعر ان هذه الرحلة ستوصل النضال الذي خضته من اجل الاستقلال السياسي إلى منتهاه، الذي لن يتم الا بالجلاء" (سيل، 2010، ص 595).

قد يكون التمثيل الدبلوماسي اول مظهر من مظاهر الاستقلال، وقبل يوسف سالم منصب وزير مفوض في القاهرة (سالم، 1998، ص 189-190)، وبالالتفاق مع وزير الخارجية اختار يوسف سالم حليم ابو عز الدين قنصلاً عاماً في القاهرة ونجيب الدحداح سكرتيراً اول ويوسف قمر ملحقاً ومعاون مفوض الشرطة شفيق رزق مرافقاً وجميعهم من خيرة الشباب وقد تم التعاون على أكمل وجه (سالم، 1998، ص 191).

ويروي يوسف سالم بعض ما جرى من أحداث، ذلك لان الملك فاروق كان قد أقال الزعيم الشعبي النحاس باشا، "فاستغل الخلاف بين القصر الملكي وبيت الأمة حتى اضطر الكثيرون إلى الابتعاد عن النحاس وبيت الأمة خوفا من إغضاب الملك".

ويذكر يوسف سالم بأن النحاس باشا هو الزعيم العربي الأول الذي رفع صوته لتأييد استقلال لبنان، وهو أول زعيم احتج على جريمة هلكو وعصابته في تعطيلهم الدستور اللبناني واعتقالهم أركان الجمهورية المستقلة. وبلغ من حماسة مصطفى النحاس باشا في نصرته لبنان في أزمته الخطرة، ان هدد الفرنسيين بمصادرة أملاكهم كلها ووقف مصالحهم في مصر، وكان النحاس صديق للوزير سالم وكان يزوره باستمرار، ومع ان الصحف المصرية كانت تنشر كل يوم اسماء الذين يزورون قصر الملك فإن جريدة المصري، لسان الوفد، كانت تنشر وحدها اسماء الذين يزورون النحاس باشا (سالم، 1998، ص 194).

وفي أحد لقاءات سالم مع السير ادورد غريغ الوزير البريطاني المقيم في القاهرة والمفوض بأمور الشرق الاوسط، أخبره بأنه مطلع على كل ما يجري في لبنان، وطلب منه عدم إثارة التحديات بين لبنان وفرنسا، وان يبلغ الحكومة اللبنانية التزام الهدوء وان لا تقدم على مشاغبات قد تضر بوضع جيوش الحلفاء في لبنان والشرق الاوسط، فاجابه الوزير سالم انه سيبلغ الرسالة إلى الحكومة، وقال له: "أحب أن اوضح لسيادتك أن الأعمال التي تشير إليها تصدر عن السلطات الفرنسية". وبعدها دعاه وزير خارجية مصر النقراشي باشا لمقابلته في وزارة الخارجية، في اليوم التالي وردد عليّ ما سمعه من الوزير البريطاني، في اليوم الثالث تلقى دعوة من الملك فاروق لمقابلته (سالم، 1998، ص 202).

ويتبن من حديث يوسف سالم أن الملك فاروق كان ضد المطالب الانكليزي وعندما دخل سالم مكتبه، وكان يقابله مرة في الاسبوع تقريبا وعندما سأل سالم عن الحديث الذي جرى مع النقراشي فروى له ما سمعه من وزير الخارجية، فقال الملك بحدة: "انا وحدي أقرر السياسة الخارجية في هذا البلد، لا النقراشي ولا سواه، لذلك اطلب منك ان تبلغ حكومة لبنان أن لا تعقد معاهدة مع فرنسا وان لا تخضع لأي تهديد أو وعيد، وإذا حصل اي اعتداء على لبنان، فإن الجيش المصري مستعد لمؤازرتكم مهما تكن النتائج" (سالم، 1998، ص 203)

11- خاتمة

وبعد أن ساندت مصر لبنان في استقلاله، فما كان من اللبنانيين أن وقفوا الى جانب شقيقتهم مصر في معركتها مع الانتداب البريطاني وطرح الموضوع في المجلس النيابي اللبناني في جلسة 13 تشرين الثاني سنة 1951، ومما قاله النائب علي البزي: "ان ما صرح به الزميل السيد حبيب ابي شهلا يفسر عاطفة كل لبنان ورأي كل لبناني وان هذا المجلس فسر قبل الان هذه العاطفة بان أعلن تأييده لمصر تأييداً مطلقاً والحكومة شاركت هذا المجلس بشعوره تجاه الشقيقة مصر. ولكن الذي نرجوه الان من الحكومة هو ان تشارك مصر في هذه المرحلة الدقيقة مشاركة فعالة بالنظر للظروف التي تواجهها. ان مصر عندما وقفت موقفها المشهور من تأييد لبنان قام النحاس باشا يومذاك وهدد الفرنسيين بمصادرة املاكهم وأقدم على ذلك فعلاً وبقيت المظاهرات قائمة في مصر طيلة ثلاثة ايام تأييداً لقضية لبنان هذا ما حدث واني واثق ان اللبنانيين سيتابعون الاضراب يوماً فيوماً مشاركة لمصر في نضالها.. لقد طلب الغربيون من الدول العربية ان تشاركهم في الدفاع المشترك بعد ان رفضت مصر ذلك واني اعتقد ان خير خدمة نؤديها لمصر في هذه الظروف هي ان نرفض اي حل يعرض علينا ما لم تحل قضية مصر. ان لمصر كما ذكر الزميل السيد حبيب ابي شهلا مكانة دولية مرموقة وإذا ذهب استقلالها فليس لدولة عربية استقلال" (محاضر المجلس النيابي اللبناني 13 تشرين الثاني سنة 1951).

وعليه أدلى رئيس المجلس النيابي اللبناني بمداخلة مصرحاً أن لديه اقتراح من سبعة عشر نائباً هذا نصه: "ان مجلس النواب اللبناني يبعث الى مصر العزيمة اصدق عواطف الاخوة في عيدها الوطني ويكرر تأييد لبنان لها في كفاحها الرائع وهو اشد ما يكون ثقة من تحقيق امانها القومية وبلوغ اهدافها الوطنية السامية". (محاضر المجلس النيابي اللبناني 13 تشرين الثاني سنة 1951).

أحدث عدم تفهم الانتداب للمتغيرات السياسية واختمار الافكار التحررية، وسعيه لكبت الحريات، وإنكار كل ما يهدف الى تعزيز الهوية الوطنية، وخصوصاً في تعديل الدستور، الى انفجار الاوضاع في لبنان، وانطلاق مسيرة الاستقلال الفعلية التي حققت خلال أحد عشر يوماً استقلالاً ناجزاً بفضل اتحاد اللبنانيين وتضحياتهم، والدعم الدولي الذي لقيته قضيتهم على المستويين العربي والعالمية.

هكذا كان الاستقلال اللبناني الى حد كبير نتاج تفاهم بين بريطانيا ومصر، ومصر هي الدولة العربية الاولى التي اعترفت باستقلال لبنان، فكانت الضمانة العربية لذلك الاستقلال، خصوصاً تجاه سوريا. هكذا افتتح دور بريطانيا ومصر تقليداً يقضي بإعادة انتاج الكيان اللبناني دورياً بواسطة تسوية بين قوة اقليمية وقوة دولية (طرابلسي، 2008، ص179).

المراجع والمصادر

- بدران، أحمد، بيروت، موقف لبنان من المشاريع الوحدوية العربية والأحلاف الغربية 1943 – 1958، أطروحة أعدت لنيل شهادة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الدكتور حسان حلاق، 2001 – 2002،
- تويني غسان، وساسين فارس، وسلام نواف، كتاب الاستقلال بالصور والوثائق، دار النهار للنشر، الطبعة الاولى، بيروت، 1988.
- نقي الدين، منير، ولادة الاستقلال، الطبعة الثانية، تقديم احمد بيضون، دار النهار، 1997.
- نقي الدين، سليمان، المسألة الطائفية في لبنان، الجذور والتطور التاريخي، دار ابن خلدون.
- الجبوري حميد، الموقف العربي والدولي من أزمة العلاقات اللبنانية الفرنسية 11 - 22 تشرين الاول 1943، آداب الرفادين 2020م.
- حلاق، حسان، التيارات السياسية في لبنان 1943- 1952، معهد الانماء العربي، بيروت، 1981.
- حلاق، حسان، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر 1913-1943، دار النهضة العربية بيروت، 1985.
- حنا، جورج، من الاحتلال الى الاستقلال، المكتبة الاهلية للطبع والنشر، الطبعة الاولى، 1944.
- الحميداوي، محمد رضوي فجر محمد، اشراف، الدكتور صالح جعبول جويعد السراي، جامعة ذي قار، ماجستير، الازمة السياسية اللبنانية والموقف الدولي منها، ٢٠١٠.
- الخوري، بشار، حقائق لبنانية، الدار اللبنانية للنشر الجامعي، بيروت، مجلد 1-2-3، 1983.
- رباط، ادمون، التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري، الجزء الثاني، ترجمة حسن قبيسي، دائرة منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 2002.
- زيادة، بيار، التاريخ الدبلوماسي لاستقلال لبنان، مع مجموعة من الوثائق المطبوعة الاهلية، بيروت، 1969.
- سالم، يوسف، خمسون سنة مع الناس، دار النهار للنشر، بيروت، 1975.

سويد، ياسين، لبنان، التاريخ السياسي والعسكري، من الاستقلال الى الجلاء 1943-1946، الجزء 11، دار نوبيليس، بيروت، الطبعة الأولى 2001.

سيل، باتريك، رياض الصلح والنضال من اجل الاستقلال العربي، ناشرون، 2010.

شعيب علي، تاريخ لبنان من الاحتلال الى الجلاء 1918-1946، دار الفارابي بيروت، 1994.

شحاذه، سليمان عبدالله، دور نواب محافظة جبل لبنان في مجلس النواب اللبناني من القضايا الخارجية 1943-1958

الصليبي، كمال، 1978، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، الطبعة الاولى.

الصلح، رغيد، لبنان والعروبة والهوية الوطنية وتكوين الدولة، دار الساقى، الطبعة الاولى، 2006.

ضاهر، مسعود، لبنان، الاستقلال، الصيغة، والميثاق، دار المطبوعات الشرقية، طبعة ثانية. بيروت، لبنان، 1984.

طرابلسي فواز، تاريخ لبنان الحديث من الامارة الى اتفاق الطائف، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الاولى، 2008.

طاهري، حمدي بدوي، سياسة الحكم في لبنان، دار النهضة، القاهرة، 1968.

لونغريغ، ستيفن، سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار عقل، دار الحقيقة، بيروت، الطبعة الاولى، 1978.

مزهر، يوسف، تاريخ لبنان العام، الجزء الثاني، بيروت لبنان، 1960.

مهدي، محمد عبد العزيز، العلاقات المصرية اللبنانية، 1943-1958، إشراف أ. د. محمد علي القوزي، اطروحة لكتوراة، جامعة بيروت العربية، بيروت، 2023.

قدورة، زاهية، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1985.

محاضر مجلس النواب اللبناني 1943-1953

القاهرة الشرق الأوسط أونلاين 1943

صحيفة العراق 1943

صحيفة النهار 1943

صحيفة علامة استفهام 1943